جامعة الملك سعود
كلية الآداب
مجلة الآداب
ردمد (ورقي): ٣٦٢٠-١٠١٨
ردمد (النشر الإلكتروني): ٨٣٣٩-١٦٥٨

King Saud University
College of Arts
Journal of Arts
ISSN (Paper):1018-3620
ISSN (Electronic):1658-8339

مجلة الآداب، مج (٣٢)، ع (١)، ص ص ١١٩-١٣٣، جامعة الملك سعود، الرياض (٢٠٢٠م/ ١٤٤١هـ)
Journal of Arts, Vol. 32 (1), pp 119-133, © King Saud University, Riyadh (2020 /1441H.)

قصيدة حسان بن ثابت اللامية: دراسة في توثيق زمنها وتأويلها

فهد بن عبد العزيز بن محمد العبده

أستاذ الأدب والنقد المساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية

(قدم للنشر في ١٣/ ٥/ ١٤٤١هـ، وقبل للنشر في ١٩/ ١٠/ ١٤٤١هـ)

ملخص البحث: هذه الورقة تحاول أن تقدم توثيقًا زمنيًا من الناحية التاريخية والثقافية للقصيدة اللامية لحسان بن ثابت رضي الله عنه، وخصوصًا فيما إذا كان حسان قد قالها في الجاهلية أو بعد الإسلام. وتأتي أهمية هذه الورقة من تقصيها المطول لزمنية القصيدة والتي تكمن في مساهمتها في كشف جوانب جديدة لسيرة حسان بن ثابت بشكل عام، وسيرته في الإسلام بشكل خاص، إذ إن ادعاء إسلامية القصيدة –على وجه الخصوص– سيطرح كثيرًا من الجدل والنقاش، الذي طالما ارتبط بشخصية حسان بن ثابت في التاريخ، وستكون هذه النقطة المثيرة للجدل والاهتمام امتدادًا لجدل طال واستمر كثيراً حول مدى التزام حسان الديني والثقافي، وموقفه الغامض تجاه المجتمع الجديد. غير أن ما تكشف عنه هذه الورقة هو أن هذه القصيدة جاهلية، وذلك ردًا على بعض الباحثين العرب وغيرهم ممن ذهب إلى إسلامية القصيدة، الأمرالذي يتيح الفرصة للباحثين المهتمين بدراسة شخصية حسان لإعادة النظر والتعمق في هذه الشخصية المثيرة للجدل لسبر أغوارها والغوص في أعماقها وأسرارها. وفي نهاية هذه الورقة، يقدم الباحث تفسيرًا جديدًا للقصيدة من خلال تحليل دقيق لبنية القصيدة وموضوعاتها.

الكلمات المفتاحية: الغساسنة، النسيب، الحنين، الخمر، جاهلية، إسلامية.

The Lāmiyyah Poem of Ḥassān ibn Thābit: An Investigative Study of its Time and Presentation of Possible Readings

Fahd Abdulaziz Alebdha

Assistant Professor of Literature and Criticism, Department of Arabic Language and Literature, College of Arts, King Saud University, Saudi Arabia

(Received:13/5/1441H, Accepted for publication 19/10/1441H)

Abstract: This paper attempts to present a documented timeline for the Lāmiyyah Poem by Ḥassān ibn Thābit based on historical and cultural investigation. Specifically, whether the poem had been composed by Ḥassān in the Jāhiliyyah time (pre-Islam) or after he converted to Islam. The importance of this paper lies in its contribution in revealing new aspects of Ḥassān ibn Thābit's life; especially his life in Islam. Because claiming that the poem is an Islamic poem would bring into service a lot of discussions and controversies that is associated with the personality of Ḥassān ibn Thābit in history. In other words, claiming the Islamicity of the poem will serve as an extension of a long-lasting debate regarding the religious and cultural commitment of Ḥassān ibn Thābit and its ambiguous attitude toward the new community. However, what this paper found is that the poem is a Jahilī poem, making it disagree with those of Arab and non-Arab scholars who claimed its Islamicity. Therefore, this paper may give an opportunity for those who are interesting in studying the personality of Ḥassān ibn Thābit to re-study and deeply examine his ambiguous personality. At the end of this paper, I present a new interpretation of the poem through a subtle analysis of its themes and structures.

Keywords: The Ghassānids, Prelude, Nostalgia, Wine, Jāhiliyyah, Islāmiyyah.

يعد الشاعر حسان بن ثابت رضي الله عنه من الشخصيات التراثية التي دار حولها الكثير من الجدل، خصوصًا فيما يتعلق بسيرته في الإسلام، إذ وصف بالجبن لأنه لم يشهد قتالاً مع الرسول ﷺ، وكذلك لخبره مع صفية بنت عبدالمطلب واليهودي، إذ روي أن حسان عندما كان في حصنه (حصن فارع) مع النساء والصبيان يوم خندق الرسول ﷺ، وكانت يهود بني قريظة قد نقضت العهد بينهم وبين رسول الله في الوقوف على الحياد يوم الخندق، مر يهودي بالحصن وجعل يطوف به، مما استدعى قلق صفية وخوفها من اطلاع هذا اليهودي على العورات، في الوقت الذي شغل الرسول الكريم وأصحابه عنهم بالقتال؛ لذا طلبت صفية من حسان القيام بقتله، لكنَّ حسان لم يلب طلبها كونه ليس بصاحب قتل، فما كان من أمر صفية إلا أن قامت بقتله، ثم طلبها من حسان أن تسلبه، إلا أن حسان رفض طلبها مرة أخرى محتجاً بأن ليس له بسلبه حاجة. (ابن الأثير، ٢٠١٢م: ٢٧٠).

غير أن بعض العلماء ردوا على من اتهموا حسان بالجبن بأن خصوم حسان من شعراء وغيرهم لم يصفوه بالجبن، فلو كان حسان حقاً جباناً لاستغل خصومه هذه الصفة في الهجوم عليه والنيل منه. (المدخلي، ٢٠٠٤م: ١٥٠). وإضافة إلى ذلك، فقد رد بعض العلماء هذه التهمة عن حسان بأنه كان مصابًا بعلة تعجزه عن القتال، وهي قطع في أكحله. وأخيرًا وليس آخرًا، كثرة الأخبار المتواترة عن تخلفه عن القتال، في الوقت الذي لا نرى فيه إنكارًا عليه من الرسول أو من أحد أصحابه، تدل دلالة واضحة على أن حسان كان معذورا شرعاً في تخلفه عن القتال، وذلك أن حسان لما أسلم كان عمره ستين عاماً، أي أنه كان في سنوات الشيخوخة، وفي هذا العمر يعذر الرجل عن المشاركة في القتال الذي يتطلب النشاط والقوة. (درويش، بدون: ١٧٧، ١٧٩)، (الظاهر، ٢٠١٧م، ٢٠٨).

ومن القضايا المثيرة للجدل حول شخصية حسان في الإسلام ورود اسمه ضمن الأشخاص الذين خاضوا في حديث الإفك ضد عائشة رضي الله عنها.[1] إذ قيل إن حسان هو المقصود في قوله تعالى: ((والذي تولى كبره))، غير أن آخرين رأوا أن المراد في الآية الكريمة هو عبدالله بن أبي. ورفض قوم هذه التهمة برمتها عن حسان، في حين أنكر آخرون أن يكون حسان قد حُدَّ حَدَّ القذف فيها. لكننا في النهاية نجد أن عائشة قد رضيت عن حسان، ودافعت عنه بعد اعتذار الأخير لها، وتبرئة نفسه من هذه التهمة في أبيات يقول فيها:

حَصانٌ رَزانٌ ما تُـزِنَّ بِريبَـةٍ وَتُصبِحُ غَرثى مِن لُحـومِ الغَوافِـلِ
فَإِن كُنتُ قَد قُلتُ الَّذي قَد زَعَمتُمُ فَلا رَفَعَـت صَـوتي إِلَيَّ أَنـامِلي
فَكَيفَ وَوِدّي ما حَيِيتُ وَنُصرتي لِآلِ رَسـولِ اللهِ زَيـنِ المَحافِـلِ

(النص، ١٩٨٥م: ١١٢-١١٣)

وتعد مسألة أخرى وهي تعريض حسان بن ثابت بالمهاجرين أصحاب رسول الله من المآخذ التي أخذت على حسان؛ إذ دفعته عصبيته لقومه إلى التعريض بالمهاجرين حين رأى كثرتهم في المدينة، وأسماهم في بيت من قصيدة بـ "الجلابيب" وتعني السفلة أو الغرباء، وهي لفظة كان المنافقون من أهل المدينة يطلقونه على المهاجرين من قريش.

أَمْسَـى الجَلَابِيـبُ قَـدْ عَـزُّوا وَابْنُ الْفُرَيْعَةَ أَمْسَى بَيْضَـةَ الْبَلَـدِ

وابن الفريعة هو نفسه، وبيضة البلد هنا تعني منفردًا ذليلاً ليس معه أحد، فهو يأسى على فقدان شرفه وسؤدده القديم قبل الإسلام. (النص: ١١٠) وهذا البيت خاصة مرتبط ارتباطًا وثيقًا بالقصيدة محل الدراسة، كما سنبين ذلك لاحقًا.

كذلك نجد في شعر حسان ما يثير الدهشة والعجب، ويطرح تساؤلات عدة حول التزامه وتطبعه التام بطابع الإسلام الحق. فالقصيدة الهمزية- على سبيل المثال- التي درسها فاروق أسليم، وقدم لنا قراءة في توثيق زمن إنشائها، خلص إلى أن القصيدة قد أنشدت أثناء المسير نحو مكة المكرمة. وتعد هذه القصيدة من القصائد التي حيرت كثيرًا من المتلقين؛ ذلك أن مقدمتها قد حوت مدحه الخمر

(١) انظر خبر هذا الحديث في تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير الطبري، دار التراث، بيروت، الطبعة الثانية، ١١ جزءًا، ١٩٦٧م،٢: ٦١٠-٦١٩ .

والاحتفال بها، الأمر الذي يتنافى بشكل صارخ مع تعاليم الإسلام وأحكامه. لهذا السبب، نجد روايات تأثرت بالعامل الديني، فنسبت مقدمة القصيدة إلى العصر الجاهلي، كمحاولة لتقديم مسوغ لاحتفال حسان بالخمر. وذهب قوم إلى أن القصيدة كلها أنشدت في الإسلام، معللين بأن الإسلام أعطى هامشًا كبيرًا من الحرية للشعراء لم يعطها لأحد غيرهم، ويضربون لذلك مثلاً بتلقي الرسول والمجتمع الإسلامي آنذاك لقصيدة البردة لكعب بن زهير، وهجاء حسان المقذع لقريش التي يبعد كثيرًا عن تعاليم الإسلام ومثله العالية. (أسليم، ٢٠٠٧م: ١٤١-١٥٨).

وامتداداً للقصيدة الهمزية التي احتار معها النقاد واختلفوا كثيراً في توجيهها، قصيدته اللامية محل دراستنا هذه. فمن خلال نظرة خاطفة في هذه القصيدة، نجد حسان يذكر الغساسنة ويحن إلى أيامه معهم، ثم نراه يفاخر بشربه الخمر في بلاط الغساسنة، ويصف مجلس الشراب وصفاً دقيقًا. لهذا اختلف النقاد والباحثون حول زمن إنشاء القصيدة بين قوم رأوا أنها جاهلية، وقوم رأوا أنها أنشئت في فترة متأخرة من حياة حسان بن ثابت لكنهم لم يذكروا صراحة أنها قصيدة إسلامية؛ نظرًا لأن في القصيدة ما يشير إلى تغيرلون شعر الرأس إلى اللون الأبيض كناية عن كبره سنه، إضافة إلى تذكره منادمته الغساسنة في جِلَّق منذ زمن بعيد، كما يدل هذا البيت:

للهِ دَرُّ عِصـــابَةٍ نـــادَمتُهُم يَوماً بِجِلَّقَ في الزَمانِ الأَوَّلِ

وآخرون ذهبوا إلى أن حسان أنشأ هذه القصيدة في الإسلام بعد أن أسن وشاب شعر رأسه. ولا شك أن ادعاء إسلامية القصيدة يثير كثيرًا من الجدل المتجدد والملازم دائمًا لشخصية حسان في الإسلام، ويعطينا جوانب أخرى لم يسلط الضوء عليها بعد عن شخصيته وموقفه تجاه المجتمع المسلم آنذاك، لكن قبل أن نقفز إلى التسليم بأن القصيدة إسلامية، علينا أولاً أن نستعرض حجج كل فريق في تقديرهم لزمن القصيدة، لننتقل بعدها إلى تقديم قراءة شاملة ومسهبة في توثيق زمن القصيدة.

ففي الخبر الأدبي الذي تداولته مجموعة من الكتب التراثية [1] بروايات مختلفة ما يدل دلالة قاطعة على أن القصيدة محل الدراسة- جاهلية؛ لأن حسان أنشد القصيدة عند النابغة الذبياني وعلقمة بن عبدة، ومعروف أن النابغة لم يدرك الإسلام. يقول الخبر: " قال حسان : فقدمت على عمرو بن الحارث فاعتاص علي الوصول إليه فقلت للحاجب بعد مدة: إن أنت أذنت لي عليه، وإلا هجوت اليمن كلها، ثم انتقلت عنها فأذن لي عليه. فلما وقفت بين يديه، وجدت النابغة جالسا عن يمينه وعلقمة جالسا عن يساره فقال لي: يا ابن الفريعة قد عرفت عيصك ونسبك في غسان، فارجع فإني باعث اليك بصلة سنية، ولا أحتاج إلى الشعر فإني أخاف عليك هذين السبعين أن يفضحاك، وفضيحتك فضيحتي وأنت اليوم لا تحسن أن تقول:

رِقـاقُ النِعـالِ طَيِّـبٌ حُجُـزاتُهُم يُحَيّونَ بِالريحانِ يَومَ السَباسِـبِ

فأبيت فقلت: لا بد منه. فقال: ذاك إلى عميك. فقلت: اسألكما بحق الملك الحراب إلا ما قدمتماني عليكما فقالا: قد فعلنا فقال: هات، فأنشأت أقول، والقلب وجل:

أَسَأَلتَ رَسـمَ الـدارِ أَم لَم تَسـأَلِ بَينَ الجَوابي فَالبُضَيعِ فَحَومَـلِ

حتى أتيت على آخرها فلم يزل عمرو بن الحارث يزحل عن مجلسه سرورًا حتى شاطر البيت، وهو يقول: هذه والله البتارة التي قد بترت المدائح، وهذا وأبيك الشعر لا ما تعللاني به منذ اليوم. يا غلام، ألف دينار مرموحة فأعطيت ألف دينار، وفي كل دينار عشرة دنانير، ثم قال: لك علي مثلها في كل سنة". (ابن عساكر، ١٩٩٥م: ١٢:٤١٩-٤٢٠).

تلقف هذا الخبر الأدبي عدد من الباحثين المحدثين، وذهبوا إلى ادعاء أن القصيدة جاهلية، وأنها كانت في مدح الغساسنة. فيعد صاحب كتاب "شاعر الإسلام: حسان بن ثابت الأنصاري" هذه القصيدة من قصائد المديح الجاهلية

(١) انظر -على سبيل المثال- كتاب الأغاني، أبـو الفـرج عـلي بـن حسـين الأصفهاني، تحقيق. إحسان عباس وآخرون، دار صادر، بـيروت، الطبعـة الثالثة، ٢٥ جزءًا، ٢٠٠٨، ١٥:١٠٩-١١١. وخزانة الأدب ولـب لبـاب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق. عبد السـلام هـارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٣ جـزءًا، ١٩٩٧ م، ٤:٣٩٣-٣٩٤.

لحسان بن ثابت، ويرى أنها أشهر قصيدة لحسان في غرض المدح. (الأعظمي، ١٩٦٢م: ٤٥-٤٨). وإلى هذا، ذهب عمر فروخ (فروخ،١٩٦٩م: ١:٣٢٧) ومحمد جمعة (جمعة، ١٩٧١م: ٢٩) ومحمد خليفة (خليفة، ١٩٧٦م: ٢١٨) ورحاب عكاوي (عكاوي، ١٩٩٦م: ٤١-٤٤) ومحمد الأزهر باي (باي، ٢٠٠٥م: ٥٤-٥٥) ومحمد طاهر درويش (درويش، بدون: ٣٢١-٣٢٣) في أن القصيدة جاهلية، معتمدين على قصة حسان بن ثابت -الآنفة الذكر-وإنشاده القصيدة بحضور النابغة الذبياني وعلقمة الفحل.

لكن من خلال نظرة سريعة في البنية الداخلية لهذا الخبر الأدبي، يتبين لنا تهافت هذا الخبر أو هذه الرواية، وعدم صحتها بتاتاً، أو لنقل على الأقل إن القصيدة التي أنشدها حسان بن ثابت أمام الملك الغساني وبحضور النابغة وعلقمة ليست قصيدتنا هذه محل الدراسة؛ لأن في هذا الخبر ما يشير إلى أن القصيدة التي أنشدها حسان كانت مديحا خالصاً في الغساسنة إلى درجة أن الملك الغساني زحل عن مجلسه طربًا وسرورًا، بينما في قصيدتنا هذه تحسر وحنين إلى تلك الأيام التي كان يقضيها الشاعر مع ملوك الغساسنة فهو يتحدث عن عصابة نادمهم في الزمان الماضي البعيد:

دارٌ لِقَومٍ قَد أَراهُم مَرَّةً فَوقَ الأَعِزَّةِ عِزُّهُم لَم يُنقَلِ

للهِ دَرُّ عِصابَةٍ نادَمتُهُم يَوماً بِجِلّقَ في الزَمانِ الأَوَّلِ

لينتقل بعد ذلك إلى مدح الغساسنة بالكرم والشجاعة والقوة إلخ. إضافة إلى أننا نجد حسان في بيت واحد يفيق من أحلام اليقظة وذكرياته الجميلة مع الغساسنة ليقول لنا: إن كل هذه الأحداث والمواقف الرائعة مع الغساسنة مضت كأنها لم تكن.

فَلَبِثتُ أَزماناً طِوالاً فيهِمِ ثُمَّ اِدَّكَرتُ كَأَنَّني لَم أَفعَلِ

فكيف إذاً نوفق بين ما يدعيه هذه الخبر وما تتحدث عنه هذه القصيدة إلا أن نقول: إن هذا الخبر ملفق على حسان، أو على الأقل إن القصيدة الملقاة أمام الملك الغساني ليست قصيدتنا هذه كما أسلفنا.

يقول إحسان النص تعليقاً على هذا الخبر الأدبي: "والخبر ظاهر التلفيق، آية ذلك زعمهم أن حسان أنشد عمرو بن الحارث قصيدته اللامية، وهذه القصيدة ليست موجهة إلى عمرو بن الحارث وإنما هي في الثناء على الغساسنة عامة، وفي تذكر أيامهم، وفيها إشارة إلى تردد حسان على الغساسنة منذ القديم:

فَلَبِثتُ أَزماناً طِوالاً فيهِمِ ثُمَّ اِنثَنَيتُ كَأَنَّني لَم أَفعَلِ

بل إن فيها ما يدل على أن حسان قالها وقد أسن وأدركه الشيب وهو قوله:

إِما تَرَي رَأسي تَغَيَّرَ لَونُهُ شَمَطاً فَأَصبَحَ كَالثَّغامِ المُحولِ

وكل هذا لا يستقيم مع ما ذكرناه من أن عمرو بن الحارث هو أول من اتصل به حسان من الغساسنة، وأنه اتصل به وهو في ميعة الصبا". (النص، ١٩٨٥م: ٧١)

ويعلق فضل العماري على أبيات من قصيدتنا هذه، والروايات المختلفة للخبر الأدبي الذي سردناه آنفًا فيقول: " إن قراءة متأنية، متبصرة في هذه الأبيات لا تترك مجالاً ألبتة لعدّ القصيدة من شعر الجاهلية، إنها رثاء، بكاء، وحسان كان فرحاً مسرورًا في جاهليته باتصاله بالغساسنة، وإن أي مستمع للشعر سيفزع حين ينشده شاعر مثل هذا الرثاء، وسيعده تنبأ بزوال ملكهم، ولن يطلب من الشاعر مواصلة الإنشاد، كما تتداول الروايات، ولن يكون هذا مديحًا أبدًا. لقد بكى حسان ملك الغساسنة، إنه يرثي دولتهم التي زالت، وأقفرت منهم. وهو يذكر ماضيهم، ويتحسر على أيامهم في الجاهلية. وليس في الشعر الجاهلي كله، ولا في الشعر الإسلامي أجمعه، ما بدئ بالتفجع على ديار الممدوح أبداً". (العماري، ٢٠٠٦م: ٥٦-٥٧)

ويذهب قوم آخرون إلى عد القصيدة من القصائد التي قيلت في فترة متأخرة، من غير تحديد دقيق لزمن القصيدة هل هي جاهلية أو إسلامية؟ فجواد علي في كتابه " المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام" يقول: "ويظهر من نظم هذه القصيدة، ومن أسلوبها ونفسها، ومن تذكر "حسان" لآل جفنة بعد أن كبر وتقدمت به السن، أن هذا الشعر هو من الشعر المتأخر، ولا أستبعد أن يكون قد نظمه بعد زوال ملك "الغساسنة"، وقد أنشده أمام أحد الغساسنة المتأخرين، ولم يكن ملكًا بالمعنى المفهوم من الملك." (علي، ١٩٩٣م: ٣: ٤٣٧-٤٣٨) وأيضًا لم يكن إحسان النص واضحًا في تحديد زمن القصيدة، فهو يذكر أن القصيدة كانت في الثناء على الغساسنة وفي تذكر أيامهم، وقد قالها حسان في مشيبه لا شبابه؛ لكنه لم يذكر صراحة أنها قيلت في الإسلام، لا سيما أن

النص ناقش هذه القصيدة تحت مطلب أسماه ب "صلته بالغساسنة"، وهذا المطلب مندرج تحت باب أسماه ب" حسان في العصر الجاهلي"، ولم تكن مناقشته للقصيدة في الباب المخصص لاستعراض حياة حسان في الإسلام "حسان في الإسلام". (النص، ١٩٨٥م: ٧١). وأخيرًا وليس آخرًا، نجد مصطفى جياووك يعلق على قصيدتنا هذه بقوله: "ويغلب على الظن أنه نظمها بعد شيخوخة وسن عالية، وبعد أن ذهب ملك آل جفنة." (جياووك، ١٩٧٧م: ٢٠٩) لكن جياووك لا يخبرنا هل هذا كان في الجاهلية أم في الإسلام، لأن ذهاب ملك الغساسنة كان قبل الإسلام بفترة، زد على ذلك أن حسان أدرك الإسلام وعمره ستون سنة كما سنرى لاحقًا.

أما محمد حسين في كتابه "الهجاء والهجاؤون" بعد استعراضه لقصائد حسان في الإسلام فيعرج على القصيدة هذه ويقدم لها بقوله:" ومن أجمل ما قال في هذه الفترة الأخيرة...". (حسين، ١٩٤٧م: ٢٢٨). وكذلك الدكتور فضل العماري الذي استعرض بصورة سريعة للآراء المختلفة في تحديد زمن القصيدة أثناء حديثه عن الصورة العامة لشعر حسان في الإسلام، ليقرر في الأخير أن إنشاء القصيدة كان بعد معركة اليرموك في سنة ١٣ للهجرة النبوية، "حيث سقطت دولة الغساسنة" (العماري، ٢٠٠٦م: ٥٧) هكذا قال بصراحة، فالعماري يرى أن سقوط ملك الغساسنة كان في سنة ١٣هـ، وهذا وهم بيّن، وغلط ظاهر كما سنرى قريبًا. وما قاد العماري لعدّ القصيدة من القصائد التي قيلت في الإسلام إلا كون هذه القصيدة رثاءً وتحسرًا على ملك غابر، وليست مديحاً لمجد قائم؛ ولأن العماري قد توهم أن سقوط ملك الغساسنة كان في سنة ١٣هـ، فقد قاده توهمه إلى عد هذه القصيدة من القصائد الإسلامية لحسان.

أما عرفان شهيد في دراسته الجادة الموسومة ب Byzantium and the Arabs in the Sixth Century (البيزنطية والعرب في القرن السادس)، فقد قسم قصائد حسان بن ثابت في الغساسنة إلى ثلاث مراحل خلال ستين سنة: المدة التي أنشد حسان فيها قصائده في الغساسنة، أي بين ٦٠٠-٦٦٠ م. تبدأ المرحلة الأولى قبل وصول الفرس الساسانيين بلاد الشام واحتلالهم لها، وتستمر إلى سقوط القدس وبلاد الشام في يد الساسانيين سنة ٦١٤م، وانسحاب البيزنطيين منها. أما المرحلة الثانية فأرخها عرفان شهيد لتكون بين سنتي ٦٢٢-٦٣٢م، الفترة التي عاش فيها الرسول ﷺ في المدينة، وهي الفترة التي أصبح فيها حسان بن ثابت شاعر الرسول، لكنه مع ذلك ظل يتذكر ممدوحيه السابقين من الغساسنة، ويمكن تمديد هذه الفترة لتشمل السنوات الثماني بين سقوط الشام بيد الساسانيين وانسحاب الغساسنة منها سنة ٦١٤م إلى هجرة الرسول ﷺ في سنة ٦٢٢م. ويؤخر عرفان شهيد الفترة الثالثة والأخيرة لقصائد حسان في الغساسنة من انسحاب الفرس الساسانيين من الشام سنة ٦٢٩م إلى موت حسان سنة ٦٦٠م، وهذه الفترة تعد الأطول مرحلة من المراحل الثلاثة، حيث تمتد ثلاثين سنة تقريباً. (Shahîd، 1995: المجلد الثاني، الجزء الأول: ٢٣٢-٢٣٣)

ويضع عرفان شهيد قصيدة حسان -محل دراستنا هذه- في المرحلة الأخيرة، أي بين سنتي ٦٣٢-٦٦١م، مستدلاً بعبارة "في الزمان الأول" في البيت أدناه التي تشير إلى أن حسان قال هذه القصيدة بعد معركة اليرموك: (Shahîd، ١٩٩٥م: المجلد الثاني، الجزء الأول: ٢٤١)

للهِ دَرُّ عِصـــابَةٍ نـــادَمتُهُم يَوماً بِجِلَّقَ في الزَمانِ الأَوَّلِ

ويتبع جينفرهيل بوتز Jennifer Hill Boutz رأي عرفان شهيد أستاذه ومشرفه على أطروحته للدكتوراة في أن القصيدة قد قيلت في فترة متأخرة من حياة حسان بن ثابت، لكننا نجده يطيل في استعراض الأسباب التي قادته إلى عد هذه القصيدة من القصائد الإسلامية لحسان. فهو يذكر أن موضوع القصيدة لم يكن مديحًا لحكام مسيطرين. وتوجد إلى جانب ذلك أيضًا في القصيدة إشارات إلى أنها قيلت في فترة طويلة بعد سقوط مملكة الغساسنة مثل عبارة "في الزمان الأول" وكلمة "يومًا" في البيت الآنف الذكر، وكلمة "مرة "في هذا البيت:

دارٌ لِقَـوْمٍ قـد أَرَاهـم مـرةً فوقَ الأعزةِ عِزهُمْ لمْ يُنْقَـلِ

ثم إن في القصيدة ما يشير إلى كبر سنه وظهور الشيب في رأسه:

إمـا تَـرَي رَأسي تَغَـيَّرَ لَونُـهُ شَمَطاً فَأَصبَحَ كَالثَّغامِ المُحْـولِ

وإضافة إلى ذلك، فإن محتوى القصيدة بشكل عام لا يتوافق مع نموذج قصيدة المدح التي من خلالها يأمل الشاعر

عطايا الممدوح، فالمدح في هذه القصيدة مديح عام وليس خاصًا لحاكم أو شخصية معينة. إضافة إلى أن النغمة السائدة والطاغية على القصيدة هي نغمة حنين وليس نغمة انتصار واحتفال. وبعبارة أخرى، فهذه القصيدة تعرض لنا الحب العميق الذي يكنه حسان للغساسنة ولحضارتهم المدنية. بمعنى أن القصيدة ألقيت في فترة متأخرة لاسترجاع الذكريات الجميلة في شبابه. (Boutz، 2009 م , 185-186)

إذاً، نرى أن كل الذين ذهبوا إلى أن القصيدة قد قيلت في فترة متأخرة من حياة حسان بن ثابت انطلقوا من البنية الداخلية للقصيدة، أي الجو العام للقصيدة، وبعض الأبيات التي تدل على كبر سن الشاعر حين إنشاد القصيدة، أو تلك التي تشير إلى وجود فترة زمنية طويلة بين وقت القصيدة وبين أيام الغساسنة العامرة. لكن هل هذا كافٍ ومقنع لعد القصيدة من القصائد الإسلامية لحسان؟ الجواب هو أنه – بناءً على ما تبوح به القصيدة– يمكن لبعض القارئين أن يعد هذه القصيدة من القصائد الإسلامية لحسان، لكن يبقى هذا الرأي رأياً إما مرجوحاً أو ضعيفًا، غير ما نميل إليه ونرجحه هو أن هذه القصيدة قصيدة جاهلية – كما سنتبين في ثنايا هذه الورقة. ولكن قبل أن نذهب إلى تقديم قراءة في توثيق زمن القصيدة، علينا أولاً أن نستعرض التفسيرات والقراءات الممكنة فيما لو عددنا هذه القصيدة قصيدة إسلامية.

يقرأ فضل العماري موقف حسان في هذه القصيدة، وتذكره الغساسنة والبكاء على أيامهم، على أنه "تعبير عن حالة نفسية تقارن الشباب بالشيخوخة"، ولم يكن هذا الموقف من حسان للدفاع عنهم. (العماري، ٢٠٠٦م: ٦٠) وعلينا في الحقيقة أن نربط هذه القصيدة –في حالة لو عددناها قصيدة إسلامية– بشخصية حسان وموقفه وكذلك موقف قومه في الإسلام. وكما ذكرنا في بداية هذا البحث، فحسان كان متعصباً لليمنية عامة، وللأنصار خاصة إلى درجة أنه عرض بالمهاجرين أصحاب رسول الله، لما رأى أن منزلته العالية والشريفة في الجاهلية تضررت كثيرًا بوجود المهاجرين في المدينة، مما جعله يعبّر صراحة –في البيت أدناه– عن تحسره المرعلى ما فاته من مزايا في أيامه في الجاهلية، الأمر الذي صيره إلى شخص ذليل معزول منزوع السيادة:

أَمْسَى الْجَلَابِيبُ قَدْ عَزُّوا وَقَدْ كَثُرُوا وَابْنُ الْفُرَيْعَةِ أَمْسَى بَيْضَةَ الْبَلَدِ

(حسان بن ثابت، ١٩٢٩م: ١٠٤).

ونرى أن حسان لا ينفك عن إنشاد الشعر الذي يرجع فيه صدى الشعر الجاهلي المثير للفتن والثالب للأعراض، حتى إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه يمر به في المسجد ويسمعه يقول الشعر فينهره ويقول: "أرغاء كرغاء البكر"، فيرد عليه حسان: "دعني عنك يا عمر فوالله إنك لتعلم لقد كنت أنشد في هذا المسجد من هو خير منك فما يغيِّر علي ذلك، فقال عمر: صدقت". (علي، ١٩٩٣م: ٢٤٥:٩) وطالما نجد حسان يذكر الغساسنة ويمدح ملوكهم، الأمر الذي جعل أحدهم –كما تذكر إحدى الروايات– يرد عليه مستنكرًا في مجلس عمر بن الخطاب: "أتذكر ملوكًا كفرة أبادهم الله وأفناهم". (ابن عبدربه، ١٩٨٣م: ١: ٣١٥)

إذن ومن خلال ما سبق عرضه، يمكن أن نفهم استدعاء حسان لأيامه الجميلة وذكرياته الرائعة مع الغساسنة على أنه وسيلة تعبيرية لرفض الحاضر التعيس الذي يعيشه الشاعر في المجتمع الجديد، إذ لم يعد شاعرنا بصاحب المكانة العالية والمنزلة الشريفة التي كانت له ولقومه في الجاهلية. فذكره ملوك الغساسنة واستحضار أيامه الجميلة معهم، والاحتفال بالخمر وشربها في مجالس الغساسنة، وأيضاً افتخاره بالقبيلة على حساب الافتخار بالكيان الجديد (الدين)، كل هذه اختيارات وظفها شاعرنا بشكل دقيق وبارع ليتحدى بها المجتمع الإسلامي والثقافة الإسلامية الجديدة التي تنكر ذلك ولا تقره، كتعبير عن رفضه لمكانته ومكانة قومه الحالية. إن قراءتنا لموقف حسان في هذه القصيدة –بصفتها قصيدة إسلامية– لا يمكن أن يكون في معزل عن سيرة حسان في الإسلام، السيرة المليئة بالمواجهات الساخنة والقضايا الشائكة كموقفه من حادثة الإفك، واتهامه بالجبن، وتعريضه بالصحابة المهاجرين.

وربما يعترض معترض على هذا التفسير فيقول: إن حسان في هذه القصيدة يحنّ إلى أيامه في الجاهلية، لكنه حنين إلى زمن الصبا والشباب، فهو قد لا يكون حنيناً إلى المكانة الجاهلية بقدر ما يكون حنيناً إلى أيام الصبا والشباب، فنجيب على ذلك بقولنا عندما ننظر في أبيات القصيدة، وفي مشهد الشراب الذي صوره حسان في القصيدة –على سبيل المثال–

نجد أن حسان حظي بمكانة خاصة في الجاهلية، فلا نجد حنينًا إلى أيام الصبا والشباب، بل حنينًا إلى مكانة عالية ومنزلة سامقة مكنته من صحبة أقوام ذوي شرف عالٍ ونسب كريم.

لكن السؤال المطروح هنا هو هل قصيدتنا فعلاً قصيدة إسلامية؟ الحقيقة أنه لا توجد حتى الآن إجابة حتمية وقاطعة، لكن ما أميل إليه هنا وأرجحه أن قصيدتنا هذه قصيدة جاهلية، ولكن قبل الدخول في استعراض الأسباب التي تؤدي إلى ترجيح جاهلية القصيدة، علينا أولاً أن نتبين حقيقة ذكرها كل من تعرض لتاريخ الغساسنة واتصال الشعراء بهم. وهي أن هناك غموضاً واضطراباً يكتنف كل ما يتعلق بتاريخ الغساسنة في المصادر العربية من حيث الاختلاف في أول من حكم من أمرائهم، وعدد أمرائهم، ومدة حكم كل أمير، وترتيب حكمهم، وأسمائهم...إلخ. (النص، ١٩٨٥م: ٥٨-٥٩)

ويكتنف الغموض الشديد والاضطراب الكبير أيضًا علاقة حسان بالغساسنة وحكامهم، فنجد أن الروايات التي تسرد ما يتعلق بصلة حسان مع الغساسنة تتشابه في مضمون الخبر الأدبي، لكن تختلف في تسمية الأشخاص. فعلى سبيل المثال، الخبر الأدبي الذي سقناه في بداية بحثنا هذا، والذي يشير إلى دخول حسان على ملك غساني بحضور النابغة وعلقمة الفحل، نجد إحدى الروايات تقول إن حسان قد وفد على جبلة بن الأيهم، ورواية أخرى تزعم دخوله على عمرو بن الحارث، وأخرى تقول إنه وفد على الحارث بن أبي شمر. (النص: ٥٨-٥٩) ومعنى هذا هو أننا يجب أن نكون حذرين عند التعامل مع الروايات الكثيرة المتعلقة بصلة حسان بالغساسنة سواءً كان ذلك قبل الإسلام أو بعده، وأن نركز على مادة أو لب الخبر الأدبي الرئيس الذي تتفق عليه كل الروايات.

وما يهمنا هنا في بداية تقصينا لزمن هذه القصيدة مولد حسان بن ثابت. فالباحثون يختلفون في تحديد ميلاد شاعرنا. فبينما يذهب نولدكه أن مولد حسان كان في سنة ٥٩٠م أو قبل ذلك بسنين قلائل، (نولدكه، ١٩٣٣م: ٤٥) نجد إحسان النص يرى أن مولده كان في حوالي سنة ٥٧٠م. (النص، ١٩٨٥م: ٧١) لكن ما عليه جمهور المؤرخين -كما يذكر ابن حجر العسقلاني- أن حسان عاش مائة وعشرين سنة، وقيل مائة وأربع سنين، وينقل العسقلاني عن ابن اسحاق أنه كان لحسان ستون سنة حين وصل الرسول ﷺ المدينة. (العسقلاني، ١٩٩٥م: ٥٦:٢) ويسوق المؤرخون القدامى لذلك أخباراً عديدة استنتجوا منها أن حسان عاش ستين سنة في الجاهلية، من ذلك الخبر الذي يقول على لسان حسان أنه سمع وهو ابن سبع أو ثمان سنوات يهوديًا يتنبأ بمولد الرسول الكريم.(النص، ١٩٨٥م: ٧١)[1]، وعليه يكون مولد حسان في حوالي سنة ٥٦٢م، وهذا ما يتوافق مع الخبر الأدبي الذي يرويه الأصفهاني في كتابه الأغاني عن تردد حسان والشاعر الجاهلي أعشى بكر بن وائل إلى حانة خمار في الجاهلية، وفيه يصف الأعشى حسان-والأخير يسمعه- بأنه شيخ في قوله إلى الخمار: "كره الشيخ الغرم"، (الأصفهاني، ٢٠٠٨م: ١٢٥:٤) فوصف حسان بالشيخ يدل على أن حسان قد بلغ مرحلة الشيخوخة وهو في الجاهلية.

ويقدر إحسان النص بداية اتصال حسان بالغساسنة في أواخر القرن السادس، أو في الفترة بين ٥٨٠-٦٠٢م، فترة حكم النعمان بن المنذر على المناذرة، وهي الفترة التي التقى بها حسان النابغة الذبياني بعد فراره من النعمان ملك الحيرة. (النص، ١٩٨٥م: ٦٨) أما نولدكه فيقدر أول اتصال لحسان مع الغساسنة بسنة ٦١٠م، أي قبل الغزو الفارسي للشام (٦١٣-٦١٤م) بثلاث سنوات. (نولدكه، ١٩٣٣م: ٤٥) وهذه فترة قصيرة جدًا لا تعكس العلاقة القوية التي جسدها الشاعر في قصائده للغساسنة، إذ كان حسان -كما يؤكد النص- يكثر التردد على الغساسنة والإقامة بديارهم، وهذا ما انعكس على كثرة ذكره لهم في مطالع قصائده الجاهلية والإسلامية. (النص، ٦٧)

---

(١) انظر -على سبيل المثال- كتاب الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، ٢٠٠٨، ٤-١٠٦، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم، الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، تحقيق. محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩ جزءًا، ١٩٩٥ م، ٢٢٤٦: والسيرة النبوية، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، القاهرة، الطبعة الأولى، جزءان اثنان، بدون، ١:١٤٧).

وانتهت علاقة حسان مع الغساسنة –بصفتهم حكاماً على بلاد الشام– بدخول الفرس بلام الشام سنة ٦١٣ أو ٦١٤م. يقول نولدكه: "وحقيقة الأمر أن دخول الفرس بلاد الشام سنة ٦١٣ و٦١٤م قضى –على ما يظهر– على ملك بني جفنة ففر بعض أمرائهم إلى بلاد الروم، والتجأ البعض الآخر إلى داخل الصحراء. أقام الفرس حينذاك في البلاد فأنزلوا الرعب في قلوب أهلها، وأحدثوا فيها من الخراب ما لا تزال آثاره بادية إلى اليوم." (نولدكه، ١٩٣٣م: ٤٦). لكن نجد في الكتب التاريخية رجالات غسانية ترددت أسماؤها كثيرًا في أخبار الفتوحات الإسلامية، مثل جبلة بن الأيهم الذي قيل إنه كان مع الروم ضد المسلمين في معركة اليرموك. (علي، ١٩٩٣م: ٤٢٧:٣) يعلق نولدكه على هذا فيقول: " فهذا كله يتعلق بقبيلة الغساسنة، لا بالأسرة الحاكمة إذا كان ثمة أسرة حاكمة." (نولدكه، ١٩٣٣م: ٤٩)

واستمرت صلة حسان ببعض رجال الغساسنة إلى ما بعد الإسلام، فقد روي: "أن جبلة بن الأيهم لما سمع، وهو ببلاد الروم، أن حسان قد صار مضرور البصر كبير السن، أرسل إليه خمسمائة دينار وخمسة أثواب ديباج، فلما سلمها الرسول الذي حمل الهدية إليه، نظم شعرًا في مدحه أوله:

إِنَّ اِبنَ جَفنَةَ مِن بَقِيَّةِ مَعشَرٍ لَم يَغذُهُم آباؤُهُم بِاللُّؤمِ
لَم يَنسَني بِالشامِ إِذ هُوَ رَبُّها كَلّا وَلا مُتَنَصِّرًا بِالرومِ

وأخذ يراجع ذكريات تلك الأيام الخالية التي قضاها معه ومع بقية آل غسان". (علي، ١٩٩٣م: ٤٢٨:٣)

لكن جواد علي يعود في الجزء التاسع من كتابه ليقول: إن هذا الشعر الذي قاله حسان في جبلة بن الأيهم شعر مصنوع، لا يتوافق مع طريقة حسان في نظمه للشعر. (علي: ٧٣٧:٩)

إذن، فإن زمن إنشاء القصيدة –على الأرجح– كان خلال السنوات الثماني بين ٦١٤م السنة التي سقطت فيها الشام (وبها مملكة الغساسنة) بيد الفرس و٦٢٢م السنة التي هاجر فيها الرسول الكريم إلى المدينة. وتتوافق الأحداث السياسية في بلاد الشام في بداية هذه الفترة والتي انتهت فيها مملكة الغساسنة بشكل نهائي مع جو القصيدة العام ونفسَها المليء بالحزن والتحسر على ما فات ومضى، والتفجع والتأوه وسكب الدموع الغزيرة على عزٍّ ولّى، وملوك أشداء مضوا من غير رجعة:

فَالعَينُ عانِيَةٌ تَفيضُ دُموعُها لِمَنازِلٍ دَرَسَت كَأَن لَم تُؤهَلِ

ومن المعروف أن القوافل التجارية بين الشام والحجاز لم تتوقف بعد غزو الفرس للشام سنة ٦١٤م، فربما أن حسان – كما يذكر عرفان شهيد– ذهب مع إحدى هذه القوافل ليرى ماذا حدث للشام بعد الغزو الفارسي. (Shahîd، 1995م: المجلد الثاني، الجزء الأول: ٢٣٢–٢٣٣) وخلال رحلته هذه، جادت قريحته بهذه القصيدة التي امتلأت حزنًا وأسى على ذهاب الغساسنة وحكمهم المكين، خصوصًا إذا أخذنا في الحسبان أن حسان لم يبرح المدينة بعد الإسلام، إذ استطاع – كما يبدو– أن يجمع ثروة مكنته من أن يبني له حصناً حصينًا عرف ب "فارع". (علي، ١٩٩٣م: ٧٣٥:٩)

أما بالنسبة لبعض الكلمات في القصيدة والتي تدل –في ظاهرها– على الفاصل الزمني الكبير بين زمن القصيدة ونهاية حكم الغساسنة، كمثل عبارة "الزمان الأول" أو ظهور شيب الرأس في قوله:

إِما تَرَي رَأسي تَغَيَّرَ لَونُهُ شَمَطاً فَأَصبَحَ كَالثَّغامِ المُحوَلِ

فنقول إجابة عن هذا الإشكال: إنه على الرغم من أن عبارة "الزمان الأول" تدل في المقام الأول على الماضي البعيد، إلا أنه يمكن أن نقول: إن الشاعر ربما رأى ذلك الماضي كماضٍ بعيد وغابر بسبب الأحداث الدراماتيكية المتسارعة التي جرت خلال هذه الفترة، خصوصًا أن هذه الفترة ليست فعلاً بالفترة القصيرة –ثماني سنوات – ولهذا يجب أن لا ننخدع بهذه العبارة، ونتصور أن هناك فاصلاً زمنياً كبيرًا يقدر بعشرات السنين بين القصيدة ونهاية الغساسنة وحكمهم. أما بالنسبة لظهور الشيب، فكما بيَّنا في ثنايا هذه الورقة أن حسان كان قد قارب الستين حين اعتنق الإسلام، والشيب قد يظهر قبل هذا العمر، فظهور الشيب وحده لا يمكن أن يكون دليلاً على أن القصيدة ألقيت بعد الإسلام، أي في فترة متأخرة من حياة الشاعر.

أما على المستوى الثقافي، فهناك سبب آخر قادنا لعد هذه القصيدة قصيدة جاهلية. ففي منتصف هذه القصيدة نجد حسان يحتفل بالخمر وشربها ومجالسها، ومع ذلك لم نجد في الكتب الأدبية والتاريخية ما يشير إلى توبيخ الشاعر أو معاتبته أو ربما الدفاع عنه وتبرير مواقفه وأفعاله، أو لنقل على الأقل إثارة هذه النقطة وطرحها ومناقشتها، وهم –أي الأدباء

والنقاد والمؤرخون ومن جرى مجراهم- لم يترددوا لحظة في وصفه بالجبن أو الحديث عن دوره المسيء في حادثة الإفك، فكيف يمكن أن نفسر موقفهم تجاه حسان في هذه القصيدة؟ فهذه القصيدة لم تنل من اهتمام النقاد والأدباء والمؤرخين ما نالته قصيدته الهمزية [١] التي سلك فيها النقاد والقراء مسالك عدة في توجيهها وفهمها لكونها حوت في مقدمتها ذكر الخمر وشربها، على الرغم من أنها قصيدة إسلامية قيلت قبل فتح مكة كما هو واضح في الغرض الرئيس من القصيدة، مما دفع بعض النقاد –كمحاولة للدفاع عن حسان- إلى عد مقدمة القصيدة مقدمة جاهلية قالها حسان في الجاهلية، ثم أتمها قبل فتح مكة، وكل هذا محاولة لفهم موقف حسان في هذه القصيدة التي تتعارض مقدمتها مع المعاني والرسالة الإسلامية الظاهرة في الغرض الرئيس للقصيدة. (أسليم، ٢٠٠٧م: ١٤٥وما بعدها).

وعلى النقيض من ذلك كله، لا نجد بخصوص قصيدتنا هذه –بصفتها قصيدة إسلامية- أي إشارة من قبل المؤرخين والنقاد القدامى لمساءلة حسان ومعاتبته لذكره الخمر والاحتفال بها، الأمر الذي يتعارض صراحة مع التعاليم والقيم الإسلامية.[٢]

وإضافة إلى ذلك، فإن ذكره الخمر في هذه القصيدة أتى في منتصف القصيدة بصفته غرضاً رئيساً للقصيدة، ولم يأتِ في مقدمة القصيدة –كما هي الحال في قصيدته الهمزية- الأمر الذي لا يمكن تبريره بأن الإسلام أعطى هامشًا من الحرية للشعراء لم يعطها لغيرهم، ولذا لم يؤاخذ النقاد والأدباء حسان على ذكره الخمر والاحتفال بها. وبعبارة أخرى، فالإسلام يتفهم تقليد الشعراء الإسلاميين للشعراء الجاهليين في بناء القصيدة العربية من وقوف على أطلال المحبوبة وتذكر أيام الشباب معها وذكر الخمر وشربها إلخ كتقليد فني واتباع لنموذج القصيدة الجاهلية. لكن أن يأتي ذكر الخمر والاحتفال بها في وسط القصيدة -بصفته غرضاً رئيساً- فهذا بلا شك خارج هامش الحرية المعطاة للشعراء، وتحدٍ صريح لتعاليم الإسلام، ثم لا نجد بعد هذا كله أي إشارة لا من قريب ولا من بعيد لهذا التجاوز من قبل حسان في الكتب الأدبية والتاريخية، الأمر الذي يعني أن القصيدة جاهلية، ولا يمكن أن تكون إسلامية.

وقبل أن أنهي هذه النقطة، أقول ربما يعترض معترض على هذا الإشكال فيقول: إن حسان لم يجد غضاضة في ذكر الخمر في قصيدته؛ لأن ربما لم ينزل تحريم الخمر بعد، حيث إن تحريم شرب الخمر قد نزل بعد فتح مكة في أحد الأقوال الفقهية في هذه المسألة،[٣] والواقع أن من رأى أن حسان نظم هذه القصيدة في فترة متأخرة بعدما أسن وكبر، لم يحدد لنا بالضبط متى قيلت هذه القصيدة؟ فجواد علي ومصطفى جياووك ومحمد حسين كلهم لم يحددوا لنا تاريخًا محددًا لنظم القصيدة. وأما بالنسبة لعرفان شهيد والعماري وجنيفر بوتز الذين حددوا تاريخ القصيدة، وذلك بعد معركة اليرموك في سنة ١٣ للهجرة، فهذا يدعم الإشكال المطروح آنفًا ويجعله جديرًا بالأخذ به والتأمل فيه؛ لأن نزول تحريم الخمر كان قبل هذه الفترة بزمن، وذلك بالاتفاق بين الفقهاء جميعهم.

وأخيرا وليس آخرًا، وقبل أن أنتقل لاستعراض بنية القصيدة وأفكارها أحب أن أطرح نقطة مهمة هنا وهي لماذا تجاهل من ذهب إلى أن القصيدة إسلامية من أمثال عرفان شهيد وجينفر بوتز وغيرهم هذه السنوات الثمانية من حياة الشاعر؟ هل كانوا يظنون أن حسان لم يزل في ريعان شبابه، وعليه فهذا لا يتوافق مع ما تبوح به القصيدة وتعبر عنه، خصوصًا أن الشيء الوحيد الذي اعتمدوه في تقديرهم زمن

(١) انظر القصيدة في ديوان حسان بن ثابت، تحقيق وليد عرفات، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، جزءان، ٢٠٠٦م، ١:١٧-١٨

(٢) للاستزادة حول موقف الإسلام من الشعر، انظر كتاب في الشعر الإسلامي والأموي، عبد القادر القط، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م، ٤٣-٤٤؛ ومقالة "قلق الانتماء في همزية حسان بن ثابت الأنصاري (قراءة في توثيق النص القديم وتأويله)، فاروق أسليم، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، جامعة تشرين، اللاذقية، مجلد ٢٩، العدد (٢)، ٢٠٠٧ م، ١٤١-١٥٨؛ كتاب موقف الإسلام من الشعر، صلاح الدين محمد عبد التواب، مطبعة السعادة، القاهرة، ط ١، ١٩٨٢ م.

(٣) للآراء الفقهية في مسألة تاريخ تحريم الخمر، انظر " التحقيق في الآية المحرمة للخمر وتاريخ تحريمها: دراسة ترجيحية"، عايش علي محمد لبابنة، مجلة العلوم الشرعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، العدد (٢٤)، ٢٠١٢م، ٤٠٥-٤٦٠.

القصيدة نابع فقط من بنية القصيدة نفسها، ومن بعض الكلمات والعبارات فيها. فلماذا غفلوا عن هذه الفترة الغامضة من حياة حسان، وعدها فترة تجمدت فيها قريحة حسان عن العطاء الشعري والفني؟

كما جاء في نسخة الديوان بتحقيق وليد عرفات، تتكون القصيدة من ثلاثة وثلاثين بيتًا، مقسمة إلى خمسة أجزاء رئيسة. (ابن ثابت، ٢٠٠٦م: ١:٧٤-٧٥) الجزء الأول مكون من ستة أبيات في النسيب التقليدي (١-٦) من وقوف على الأطلال وسكب الدموع على الديار الدارسة. الجزء الثاني يبدأ من البيت السابع إلى البيت العشرين، وهذا الجزء مخصص لمدح الغساسنة بالشجاعة والقوة والكرم والعدالة المجتمعية والحضارة والنسب العالي الشريف، ويختتم هذا الجزء باستفاقة الشاعر من أحلامه وتذكره الغساسنة وأيامه معهم، ليقول إن كل هذا مضى كأن لم يكن، وأنه الآن كبر سنه وتغير لون شعر رأسه، لكنه مع ذلك لا يزال قوياً منيعاً. غير أن الشاعر يعود في الجزء الثالث لذكرياته مع الغساسنة وشربه الخمر معهم، ووصفه مجلس الشراب. أما الجزء الرابع فكان مخصصًا للفخر الذاتي والفخر القبلي أو الفخر بالعشيرة. وفي القسم الخامس والأخير يعود الشاعر إلى مدح الغساسنة وشربه الخمر معهم، لكن هذه المرة كان مديحا موجهًا إلى شخص معين وصفه بفتى، من غير أن يسميه، لتنتهي القصيدة وكأنها مبتورة من النصف، حيث لم يعطينا الشاعر أي إشارات لإنهاء القصيدة، مما يعني أن هناك أبياتًا سقطت من القصيدة من قبل الرواة.

أَسَأَلتَ رَسمَ الدارِ أَم لَم تَسأَلِ بَينَ الجَوابي فَالبُضَيعِ فَحَومَلِ
فَلَمَرجِ مَرجِ الصُفَّرَينِ فَجاسِمٍ فَدِيارِ سَلمى دُرَّساً لَم تُحلَلِ
أَقوى وَعُطِّلَ مِنهُمُ فَكَأَنَّهُ بَعدَ اللِوى آيُ الكِتابِ المُجمَلِ
دَمِنٌ تَعاقَبَها الرِياحُ دَوارِسٌ وَالمُدجِناتُ مِنَ السِماكِ الأَعزَلِ
فَالعَينُ عانِيَةٌ تَفيضُ دُموعُها لِمَنازِلٍ دَرَسَت كَأَن لَم تُؤهَلِ
دارٌ لِقَومٍ قَد أَراهُم مَرَّةً فَوقَ الأَعِزَّةِ عِزُّهُم لَم يُنقَلِ

يبدأ الشاعر قصيدته باستفهام بلاغي يحمل معنى النفي، فسواءً سألت الدار أم لم تسأل فلن تكن هناك أي إجابة. فكأن الشاعر في هذا البيت يرجع صدى الوقوف على الأطلال وسؤالها، مثل بيت لبيد بن ربيعة في معلقته المشهورة (عفت الديار):

فَوَقَفْتُ أَسْأَلُهَا وَكَيفَ سُؤَالُنَا صُمًّا خَوَالِدَ مَا يَبِيْنُ كَلامُهَا

ويزيد تعداد الشاعر لهذه الأماكن بهذه الدقة من النغمة الحزينة، ويكثف شعور الحنين. وكما جاء في شرح الديوان لعبد الرحمن البرقوقي، كل هذه الاماكن كانت منازل لآل جفنة الغساسنة، ما عدا "حومل" الذي لم يستطع أحد أن يحدد مكانه. (البرقوقي، ١٩٢٩م، ٣٠٧) وحومل في أحد الأقوال التي ذكرها صاحب كتاب خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، اسم بلد في الشام لكن من غير أن يكون هناك تحديد دقيق لهذا المكان. (البغدادي، ١٩٩٧م،١١:١٩)

وفي البيت الثاني، نجد الشاعر يجمع بين موتيف الوقوف على أطلال الغساسنة والوقوف على أطلال الحبيبة (ديار سلمى)، كما هو الحال في التقليد الشعري الأصيل. ومن شأن هذا الربط أن يستدعي شعور الحنين المهيمن في النسيب التقليدي. يقول ياروسلاف ستيتكيفيتش معلقاً على ذكر الأماكن في النسيب التقليدي: "وقد تكون هذه الأماكن ذات وجود حقيقي، وفي الحقيقة، كثير منها لا يزال قائمًا جغرافيا- ولكن هذا ليس ذا أهمية من الناحية الشعرية. بل إننا لا نعرف ما إذا كانت أسماء الأماكن في معظم القصائد العربية القديمة أكثر من مجرد معالم حميمة مثيرة للعواطف في سبيل تلك التعبيرات المسرفة عن الفقد والحنين التي تشكل الحالة النفسية في النسيب. وكذا يمكن أن نفترض، مع بعض اليقين، وإن كان يقينًا شعريًا، أن الإشارات إلى الأماكن، على الأقل داخل النسيب العرفي، هي في أغلب الأحوال ذات طبيعة رمزية، غير مباشرة..." (ستيتكيفيتش، ٢٠٠٤م: ٢٣٧). وهذا يعيدنا إلى البيت الأول أي إن كلمة حومل ربما لم يقصد منها الشاعر موضعًا معيناً في الشام، وإنما جارى فيها الشعراء الآخرين في سردهم أماكن معينة كعرف شعري أصيل في قسم النسيب التقليدي، من أجل تحفيز مشاعر الفقد والحنين، ومن ثم إثارة مشاعر الحنين.

ونجد في البيت الخامس كلمة "عانية" اسم مفعول بصورة اسم الفاعل، ومعناها هنا ضعيفة مريضة، لكن في اللغة قد تأتي بمعنى ذليلة منكسرة، "وكل من ذل واستكان وخضع فقد عنا" (ابن منظور، ١٩٩٤م، ١٥:١٠٢) فالعين ذليلة مقهورة منكسرة لأنها فقدت ركنًا متيناً وجبلاً منيعاً

بزوال الغساسنة وحكمهم. وعبر الشاعر ب "تفيض" ليدل على غرقه الشديد بأحزانه وهمومه.

لله دَرُّ عِصـــابَةٍ نـــادَمتُهُم   وماً بِجِلَّـقَ في الزَمـانِ الأَوَّلِ
يَمشونَ في الحُلَـلِ المُضـاعَفِ   مَشيَ الجِمالِ إِلى الجِمـالِ البُـزَّلِ
الضارِبونَ الكَـبشَ يَـبرُقُ بَيضُـهُ   ضَرباً يَطيحُ لَـهُ بَنـانُ المَفصِـلِ
وَالخـالِطونَ فَقـيرَهُم بِغَنِـيِّهِم   وَالمُنعِمونَ عَلى الضَعيفِ المُرمِـلِ
أَولادُ جَفنَةَ حَـولَ قَـبرِ أَبـيهِمِ   قَبرِ اِبنِ مارِيَةَ الكَريمِ المُفضِـلِ
يُغشَونَ حَتّى مـا تَهِـرُّ كِلابُهُـم   لا يَسأَلونَ عَنِ السَـوادِ المُقبِـلِ
يَسقونَ مَـن وَرَدَ الـبَريصَ عَلَـيهِمِ   بَردى يُصَفَّقُ بِالرَحيقِ السَلسَلِ
يُسـقَونَ دِريـاقَ الرَحيـقِ وَلَم تَكُـن   تُدعى وَلائِدُهُم لِنَقفِ الحَنظَلِ
بـيضُ الوُجـوهِ كَريمَـةٌ أَحسـابُهُم   شُمُّ الأُنوفِ مِنَ الطِرازِ الأَوَّلِ
فَعَلَوتُ مِـن أَرضِ الـبَريصِ إِلَـيهِمِ   حَتّى اِتَّكَأتُ بِمَنـزِلٍ لَم يوغَـلِ
نَغـدو بِنـاجودٍ وَمُسـمِعَةٍ لَنـا   بَـينَ الكُـرومِ وَبَـينَ جَـزعِ
فَلَبِثـتُ أَزمانـاً طِـوالاً فـيهِمِ   ثُـمَّ اِدَّكَـرتُ كَـأَنَّني لَم أَفعَـلِ
إِمـا تَـرَي رَأسي تَغَـيَّرَ لَونُـهُ   شَمَطاً فَأَصبَحَ كَالثَغامِ المُحوِلِ
فَلَقَـد يَـراني موعِـدِيَّ كَـأَنَّني   في قَصرِ دومَةَ أَو سَواءِ الهَيكَلِ

في الجزء الثاني من القصيدة، ينتقل الشاعر إلى مدح الغساسنة بالرفاهية والنعيم (بيت ٨) وبشجاعتهم وقوتهم العسكرية (بيت ٩) وبكرمهم وشهامتهم (الأبيات، ١٠،١٢، ١٣، ١٤)، وباتحادهم وارتباطهم مع بعضهم البعض (بيت ١١) وبالنسب الشريف (بيت ١٥). في البيت ١٧ ينتقل الشاعر إلى سرد ذكرياته مع الغساسنة، ليعود له وعيه بحاضره وواقعه المرير في البيتين ١٨-١٩، وفي البيت رقم ٢٠ يذكر الشاعر أنه على الرغم من كبر سنه ووهنه، فقد كان يُرى عصيًا منيعاً على أعدائه مع أولاد جفنة في حصن دُومة الجندل أو في وسط الهيكل (بيت النصارى).

وفي حركة دورية متكررة في القصيدة، نجد أن الشاعر ينغمس في الماضي في البيتين السادس عشر والسابع عشر ليعود إلى الواقع الحزين في البيتين الثامن عشر والتاسع عشر، لكن هذا الانغماس من قبل الشاعر في الماضي لم يكن كافيًا له للترويح أو التخفيف عن نفسه، فعاد الشاعر مرة أخرى إلى استعادة ذكريات الماضي الجميل في القسم اللاحق من القصيدة (قسم شرب الخمر ووصف مجلس الشراب في البلاط الغساني). فالشعر الأبيض يمثل واقعاً مريرًا لم يستطع الشاعر تحمله، فلجأ إلى العودة مرة أخرى إلى الماضي. وقصر دومة ووسط الهيكل لم تكن سوى أدوات محفزة قادت الشاعر إلى استعادة الذكريات الجميلة.

وللدكتور ياروسلاف ستيتكيفيتش تعليق -يستحق أن يذكر هنا- حول الحركة في بنية النسيب في القصيدة العربية الكلاسيكية. يقول ياروسلاف: "يتطلب بناء النسيب، في عودته إلى المفتاح النغمي، أن تتبع الحالة النفسية لحلم اليقظة بيقظة مفاجئة إلى الحاضر المؤسف الحقيقي، وأن يتوقف الانغماس في ماضٍ متذكر. وهكذا، فإن المفتاح النغمي للنسيب يكشف عن نفسه مرة أخرى بوصفه استثارة للحالة النفسية للشاعر بالضرورة، وذلك عندما يقف على الأطلال المقفرة."(ستيتكيفيتش، ٢٠٠٤م: ٨١) وفي قصيدتنا هذه، نجد أن الشاعر يعود له فجأة وعيه بالحاضر الحزين الكئيب بعد انغماسه في الماضي الجميل، كل هذا لأجل أن ينغمس مرة أخرى في ذكريات الماضي السعيد. فالحالة النفسية -كما يذكر الدكتور ياروسلاف- تتطلب العودة إلى الواقع المرير لأجل شحن واستثارة نفسية للشاعر للعودة مرة أخرى لأحلام اليقظة، وهذا ما فعل شاعرنا عندما عاد له وعيه بالحاضر في الأبيات ١٨-٢٠ لأجل أن ينغمس مرة أخرى في أحلام اليقظة في الجزء التالي من القصيدة.

وَلَقَـد شَرِبـتُ الخَمـرَ في حانوتِها   صَهباءَ صافِيَةً كَطَعمِ الفُلفُلِ
يَسعى عَـلَيَّ بِكَأسِـها مُتَنَطِّـفٌ   فَيَعُلُّنـي مِنهـا وَلَـو لَم أَنهَـلِ
إِنَّ الَّتـي نـاوَلتَني فَرَدَدتُهـا   قُتِلَت قُتِلتَ فَهاتِها لَم تُقتَـلِ
كِلتاهُما حَلَـبُ العَصـيرِ فَعـاطِني   بِزُجاجَةٍ أَرخاهُما لِلمَفصِـلِ
بِزُجاجَـةٍ رَقَصَـت بِـما في قَعرِهـا   رَقَصَ القَلوصِ بِراكِبٍ مُستَعجِلِ

في هذا الجزء من القصيدة، يحتفل الشاعر بالخمر وشربها ومجلسها في البلاط الغساني. مشهد الخمر هنا لا يحتوي فقط على الخمر، بل أيضاً شمل الخدم والفتيان الذين يقدمون الخمر للضيوف. في مشهد الشراب نفسه تأكيد على المكانة العالية التي يتمتع بها حسان عند الغساسنة، فالخمر تقدم له مصفاة منقاة من قبل فتى مقرط الأذن. أيضًا في مشهد الشراب ذاته الذي صوره حسان، نستطيع أن نتصور الطبيعة الاستقرارية والحضارية للغساسنة، وهذا ما يتوافق مع ما ذهب إليه تيسير خلف في حديثه عن طبيعة عيش الغساسنة، (خلف، ٢٠١٠م، ٧) خلافًا لنولدكه الذي يرد كل الروايات

التي نقلها الأصفهاني في كتابه "تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء والتي تتحدث عن بناء الغساسنة للقصور والأبنية. (نولدكه، ١٩٣٣م: ٥٣-٥٤)

نَسَبي أَصيلٌ في الكِرامِ وَمِنوَدي ... تَكوي مَواسِمُهُ جُنوبَ المُصطَلي
وَلَقَد تُقَلِّدُنا العَشيرَةُ أَمرَها ... وَنَسودُ يَومَ النائِباتِ وَنَعتَلي
وَيَسودُ سَيِّدُنا جَحاجِحَ سادَةً ... وَيُصيبُ قائِلُنا سَواءَ المَفصِلِ
وَنُحاوِلُ الأَمرَ المُهِمَّ خِطابُهُ ... فيهِم وَنَفصِلُ كُلَّ أَمرٍ مُعضِلِ
وَنَزورُ أَبوابَ المُلوكِ رِكابُنا ... وَمَتى نُحَكَّم في البَرِيَّةِ نَعدِلِ

في هذا الجزء من القصيدة، يفخر الشاعر بنسبه العريق، زاعماً ومؤكدًا أن كل من يتعرض له بهجاء أو أذى سيهجوه بأقذع الهجاء. ثم ينتقل الشاعر إلى الفخر القبلي بالسؤدد وإتيان فصل الخطاب والتصدي لمعضلات الأمور وزيارة الملوك العظام والعدل. لقد تغيرت في هذه الأبيات النغمة التي كانت سائدة في الأجزاء السابقة من القصيدة من جو مليء بالحزن والحنين فهو حبيس الماضي بكل ذكرياته الجميلة إلى أجواء الحاضر والواقع التي امتلأت عزمًا ورباطة الجأش وأنفة وعزة في حاضره وواقعه. إذن نجد هنا خطاً أو اتجاهاً تصاعديًا إيجابيًا، ترك الماضي بكل ما فيه من متعة ومنعة وعزة والاتجاه إلى العيش بالحاضر الجميل والسعيد.

في فخر الشاعر القبلي، يتجلى ملمحٌ هو لب النظام البدوي وجوهره أعني التضحية بالنفس في سبيل القبيلة أو المجتمع البدوي، ومن ثم التأكيد على المكانة العالية للشاعر عند القبيلة. فالقبيلة تولي الشاعر الأمور الجسام ليضطلع بها ويقوم عليها لأنها تثق به وبقدراته. تعبيره ب "تقلدنا" يدل على تشرفه العالي بهذا التكليف، ومعنى هذا أن كل أفراد القبيلة مستعدون للدفاع عنها يوم النائبات، إنه الشرف العالي الذي تمنحه القبيلة لبعض أبنائها دون آخرين. وأخيرًا، نستطيع أن نقرأ قسم الفخر هذا بمثابة تعويض عن قسم المديح (مديح الشاعر للغساسنة في الجزء الثاني) بمعنى أن الصفات التي خلعها الشاعر على الغساسنة من قوة وشجاعة وكرم وعدالة، والتي افتقدها بزوال الغساسنة وحكمهم عوضها هنا في هذا القسم بالفخر بنفسه وبقبيلته.

وَفَتىً يُحِبُّ الحَمدَ يَجعَلُ مالَهُ**مِن دونِ والِدِهِ وَإِن لَم يُسأَلِ
يُعطي العَشيرَةَ حَقَّها وَيَزيدُها**وَيَحوطُها في النائِباتِ المُعضِلِ
باكَرتُ لَذَّتَهُ وَما ماطَلتُها**بِزُجاجَةٍ مِن خَيرِ كَرمٍ أَهدَلِ

في هذا الجزء الأخير من القصيدة، يمدح الشاعر رجلاً بالكرم والإيثار والذود عن العشيرة. ويرجح أن يكون هذا الرجل الذي وصفه حسان ب "فتى" من الغساسنة. في البيت الأخير يعود الشاعر إلى موتيف شرب الخمر، لكن هذه المرة يشرب الخمر مع هذا الفتى الغساني، لتنتهي القصيدة بهذا الشكل، وكأنها مبتورة من المنتصف، ولعل ما تبقى من القصيدة قد سقط من الرواة.

وفي الختام، من الممكن أن نقرأ القصيدة ككل على أنها نسيب تقليدي طويل، بمعنى أن الشاعر لم يستطع تجاوز معاناته وأزمته النفسية وماضيه، وإن حاول ذلك من خلال الفخر بنفسه وبقبيلته، لكن هذا الفخر لم يكن كافيًا للتغلب على هذا الأنين المستمر والألم المبرح. تدور القصيدة في حلقة مفرغة، أي أننا نجد الشاعر يدخل في متاهة يتذكر فيها الماضي ويستدعي فيها الذكريات الجميلة، ثم يعود له وعيه بالحاضر ليشكل ذلك محطة يشحن فيها مشاعره وأحاسيسه لرحلة أخرى إلى الماضي الجميل، وهكذا دواليك. فكما أن الشاعر في قسم النسيب التقليدي يعود إلى ماضيه كوسيلة مواساة وتعزية لحاضره وواقعه الحزين الكئيب والذي فقد فيها محبوبته ومعشوقته، فكذلك شاعرنا في هذه القصيدة ظل إلى نهاية القصيدة يعود إلى الماضي للتغلب على مآسي الواقع.

ملحق: قصيدة حسان بن ثابت اللامية:

أَسَأَلتَ رَسمَ الدارِ أَم لَم تَسأَلِ ... بَينَ الجَوابي فَالبُضَيعِ فَحَومَلِ
فَالمَرجِ مَرجِ الصُفَّرَينِ فَجاسِمٍ ... فَدِيارِ سَلمى دُرَّساً لَم تُحلَلِ
أَقوى وَعُطِّلَ مِنهُمُ فَكَأَنَّهُ ... بَعدَ البِلى آيُ الكِتابِ المُجمَلِ
دَمِنٌ تَعاقَبَها الرِياحُ دَوارِسٌ ... وَالمُدجِناتُ مِنَ السِماكِ الأَعزَلِ
فَالعَينُ عانِيَةٌ تَفيضُ دُموعُها ... لِمَنازِلٍ دَرَسَت كَأَن لَم تُؤهَلِ
دارٌ لِقَومٍ قَد أَراهُم مَرَّةً ... فَوقَ الأَعِزَّةِ عِزُّهُم لَم يُنقَلِ
للهَ دَرُّ عِصابَةٍ نادَمتُهُم ... وماً بِجِلَّقَ في الزَمانِ الأَوَّلِ
يَمشونَ في الحُلَلِ المُضاعَفِ نَسجُها ... مَشيَ الجِمالِ إِلى الجِمالِ البُزَّلِ
الضارِبونَ الكَبشَ يَبرُقُ بَيضُهُ ... ضَرباً يَطيحُ لَهُ بَنانُ المَفصِلِ
وَالخالِطونَ فَقيرَهُم بِغَنِيِّهِم ... وَالمُنعِمونَ عَلى الضَعيفِ المُرمِلِ
أَولادُ جَفنَةَ حَولَ قَبرِ أَبيهِم ... قَبرِ اِبنِ ماريَةَ الكَريمِ المُفضِلِ
يُغشَونَ حَتّى ما تَهِرُّ كِلابُهُم ... لا يَسأَلونَ عَنِ السَوادِ المُقبِلِ
يَسقونَ مَن وَرَدَ البَريصَ عَلَيهِم ... بَرَدى يُصَفِّقُ بِالرَحيقِ السَلسَلِ
يُسقَونَ دِرياقَ الرَحيقِ وَلَم تَكُن ... تُدعى وَلائِدُهُم لِنَقفِ الحَنظَلِ

بيضُ الوُجوهِ كَريمَةٌ أَحسابُهُم ... شُمُّ الأُنوفِ مِنَ الطِرازِ الأَوَّلِ
فَعَلَوتُ مِن أَرضِ البَريصِ إِلَيهِم ... حَتّى اِتَّكَأتُ بِمَنزِلٍ لَم يوغَلِ
نَغدو بِناجودٍ وَمُسمِعَةٍ لَنا ... بَينَ الكُروم وَبَينَ جَزعِ القَسطَلِ
فَلَبِثتُ أَزماناً طِوالاً فيهِم ... ثُمَّ اِدَّكَرتُ كَأَنَّني لَم أَفعَلِ
إِما تَرَي رَأسي تَغَيَّرَ لَونُهُ ... شَمَطاً فَأَصبَحَ كَالثَغامِ المُحوِلِ
فَلَقَد يَراني موعِدِيَّ كَأَنَّني ... في قَصرِ دومَةَ أَو سَواءِ الهَيكَلِ
وَلَقَد شَرِبتُ الخَمرَ في حانوتِها ... صَهباءَ صافِيَةً كَطَعمِ الفُلفُلِ
يَسعى عَلَيَّ بِكَأسِها مُتَنَطِّفٌ ... فَيَعُلُّني مِنها وَلَو لَم أَنهَلِ
إِنَّ الَّتي ناوَلتَني فَرَدَدتُها ... قُتِلَت قُتِلتَ فَهاتِها لَم تُقتَلِ
كِلتاهُما حَلَبُ العَصيرِ فَعاطِني ... بِزُجاجَةٍ أَرخاهُما لِلمَفصِلِ
بِزُجاجَةٍ رَقَصَت بِما في قَعرِها ... رَقَصَ القَلوصِ براكِبٍ مُستَعجِلِ
نَسَبي أَصيلٌ في الكِرامِ وَمِنوَدي ... تَكوي مَواسِمُهُ جُنوبَ المُصطَلي
وَلَقَد تُقَلِّدُنا العَشيرَةُ أَمرَها ... وَنَسودُ يَومَ النائِباتِ وَنَعتَلي
وَيَسودُ سَيِّدُنا جَحاجِحَ سادَةً ... وَيُصيبُ قائِلُنا سَواءَ المَفصِلِ
وَنُحاوِلُ الأَمرَ المُهِمَّ ... فيهِم وَنَفصِلُ كُلَّ أَمرٍ مُعضِلِ
وَنَزورُ أَبوابَ المُلوكِ ... وَمَتى نُحَكَّم في البَرِيَّةِ نَعدِلِ
وَفَتىً يُحِبُّ الحَمدَ يَجعَلُ مالَهُ ... مِن دونِ والِدِهِ وَإِن لَم يُسأَلِ
يُعطي العَشيرَةَ حَقَّها وَيَزيدُها ... وَيَحوطُها في النائِباتِ المُعضِلِ
باكَرتُ لَذَّتَهُ وَما ماطَلتُها ... بِزُجاجَةٍ مِن خَيرِ كَرمِ أَهدَلِ

المصادر والمراجع العربية

ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري، *أسد الغابة في معرفة الصحابة*، ط ١، بيروت، دار ابن حزم، ٢٠١٢ م.

ابن ثابت الأنصاري، حسان، *ديوان حسان بن ثابت*، تحقيق: وليد عرفات، جزءان، ط ١، بيروت، دار صادر، ٢٠٠٦ م.

ابن عبدربه الأندلسي، أحمد بن محمد، *العقد الفريد*، تحقيق: مفيد محمد قميحة، ٩ أجزاء، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٣ م.

ابن عساكر، علي بن حسن بن هبة الله، *تاريخ مدينة دمشق*، تحقيق: محب الدين أبو سعيد عمر العمروي، ٨٠ جزءًا، ط ١، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٥ م.

ابن منظور، جمال الدين، *لسان العرب*،١٥ جزءًا، ط ٣، بيروت، دار صادر، ١٩٩٤م.

أسليم، فاروق، " قلق الانتماء في همزية حسان بن ثابت الأنصاري: قراءة في توثيق النص القديم وتأويله"، *مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية*، مجلد ٢٩، العدد (٢)، (٢٠٠٧ م)، ١٥٨-١٤١.

الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، *كتاب الأغاني*، تحقيق: إحسان عباس وإبراهيم السعافين وبكر عباس، ٢٥ جزءًا، ط ٣، بيروت، دار صادر، ٢٠٠٨ م.

الأعظمي، وليد، *شاعر الإسلام حسان بن ثابت الأنصاري: دراسة أدبية تاريخية*، ط ١، الكويت، مكتبة المنار،١٩٦٢ م.

باي، محمد الأزهر، *حسان بن ثابت شاعر الجاهلية والإسلام*، ط ١، تونس، مركز النشر الجامعي، ٢٠٠٥ م.

البرقوقي، عبد الرحمن، *شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري*، ط ١، القاهرة، المطبعة الرحمانية، ١٩٢٩ م.

البغدادي، عبد القادر بن عمر، *خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب*، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ١٣ جزءًا، ط ٤، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٩٧ م.

جمعة، محمد إبراهيم، *حسان بن ثابت*، ط ٢، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧١ م.

الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، *المنتظم في تاريخ الملوك والأمم*، تحقيق. محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ١٩ جزءًا، ط ٢، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٥ م.

جياووك، مصطفى، *الحياة والموت في الشعر الجاهلي*، ط ١، بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٧٧ م.

حسين، محمد محمد، *الهجاء والهجاؤون في الجاهلية*، ط ١، القاهرة، مكتبة الآداب بالجماميز، بدون.

خلف، تيسير، *كنيسة العرب المنسية: أديرة الغساسنة في دمشق والجولان وحوران ولبنان*، ط ٢، دمشق، دار التكوين، ٢٠١٠ م.

خليفة، محمد محمد، "حسان بن ثابت"، *الرئاسة العامة للبحوث العلمية والافتاء*، مجلد ١، العدد (٢)، (١٩٧٦م)، ٢١٣-٢٤٠.

درويش، محمد طاهر، *حسان بن ثابت*، ط ١، القاهرة، دار المعارف، بدون.

ستيتكيفيتش، ياروسلاف، *صبا نجد: شعرية الحنين في النسيب العربي الكلاسيكي*، ترجمة: حسن البنا عزالدين،

ط ١، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ٢٠٠٤ م.

الطبري، محمد بن جرير، *تاريخ الرسل والملوك*، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ١١ جزءًا، ط ٢، بيروت، دار التراث، ١٩٦٧ م.

الظاهر، عبد الله فتحي، *محطات في السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي: تصحيح مفاهيم*، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠١٧م.

عبد التواب، صلاح الدين محمد، *موقف الإسلام من الشعر*، ط ١، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٩٨٢م.

العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر، *الإصابة في تمييز الصحابة*، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ٨ أجزاء، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٥ م.

عكاوي، رحاب، *حسان بن ثابت الأنصاري: شاعر النبوة والإسلام*، ط ١، بيروت، دار الفكر العربي، ١٩٩٦ م.

علي، جواد، *المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام*، ٢٠ جزءًا، ط ٤، بيروت، دار الساقي، ٢٠٠١م.

العماري، فضل، "حسان بن ثابت: بين الجاهلية والإسلام"، *مجلة العرب*، مجلد ٤٢، العدد (١ و٢)، (٢٠٠٦م)، ٤٧-٧٦.

فروخ، عمر، *تاريخ الأدب العربي*، ٣ أجزاء، ط ٢، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٦٩ م.

القط، عبدالقادر، *في الشعر الإسلامي والأموي*، ط ١، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٧٩ م.

لبابنة، عايش علي محمد، "التحقيق في الآية المحرمة للخمر وتاريخ تحريمها: دراسة ترجيحية"، *مجلة العلوم الشرعية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية*، العدد (٢٤)، (٢٠١٢م)، ٤٠٥-٤٦٠.

المدخلي، إبراهيم، *مرويات غزوة الخندق*، ط ١، المدينة المنورة، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ٢٠٠٤ م.

المعافري الحميري، عبد الملك بن هشام بن أيوب، *السيرة النبوية*، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد، جزءان اثنان، ط ١، القاهرة، شركة الطباعة الفنية المتحدة، بدون.

نولدكه، ثيودور، *أمراء غسان من آل جفنة*، ترجمة: بندلي جوزي وقسطنطين زريق، ط ١، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٣٣ م.

المصادر والمراجع الأجنبية

Boutz, Jennifer Hill, "Ḥassān Ibn Thābit, A True Mukhaḍram: A Study of the Ghassānid Odes of Ḥassān ibn Thābit." A PhD Dissertation, USA, Arabic & Islamic Studies, Graduate School of Arts & Science, Georgetown University, 2009.

Shahîd, Irfan, *Byzantium and the Arabs in the Sixth Century,* Two Volumes, Two Parts, First Edition, Washington, D.C., Dumbarton Oaks Research Library and Collection, 1984.